

أكثر وأغلب كما يقول أبو علي (ابن سيدة 14 : 123).

(4) باب «فَعْلٌ يَفْعُلُ» :

تتضمن الفعلية معنى الحركة، والمجئود الجسمي أو العقلي ؛ فدلالة الفعل على الحركة أساس لقيام حدث ما، أو وجود حدث ما. ولذلك كانت الحركة عنصرا من عناصر بناء الفعل، وتنوع دلالاته تبعاً لتنوع حركته، وعليها يقوم التحول الداخلي في الصيغة الفعلية ؛ فكلما تغيرت الحركة تغيرت الصيغة، وتغير معناها معنى الفعل.

ولما كان (فَعْلٌ) ليس فعلا بالمعنى التام للكلمة، وإنما جاء في كلامهم للنبيثة التي يكون عليها الفاعل، لالشيء يفعله قصداً لغيره، نحو : حَسُنَ بِحَسْنٍ، وَقُبِحَ بِقُبُوحٍ، وَكُرِمَ بِكُرْمٍ، وَأُدبَ بِأَدَبٍ، وَضُؤِلَ بِضُؤُولٍ، وَبَطُؤِرَ بِبَطُؤِيرٍ، فهو حَسَنٌ وَقَبِيحٌ وَكَرِيمٌ وَأَدِيبٌ وَضُؤِيلٌ وَبَطُؤِيرٌ — لزمّت عينه حركة واحدة في الماضي والمضارع.

يقول ابن جنّي (1 : 376) : «وأما موافقة حركة عينه فلأنه ضرب قائم في الثلاثي برأسه ؛ ألا تراه غير متعدّ ألبتة، وأكثر باب (فَعْلٌ وَفِعْلٌ) متعدّ. فلما جاء هذا مخالفاً لهما — وهما أقوى وأكثر منه — خولف بينهما وبينه، فوفق بين حركتي عينيه، وخولف بين حركة عينيهما».

«فَعْلٌ» بين اللزوم والتعدي :

وأفعال هذا الباب لازمة، وقد اعترض ابن الحاجب على القائلين بأن (فَعْلٌ) جاء متعدداً في حالتي التضمين والتحويل :

أ — اعترض على التضمين عند من قال : رُحِبْتُمْ الدار، أي وسعتكم، على ما ذهب إليه أبو علي الفارسي، حين قال : إن هذيلاً تجعل الكلمة

التي على وزن (فَعْلٌ) متعدية إذا كانت قابلة للتعدي بمعناها، كقول علي بن أبي طالب : «إن بشراً قد طلع العين، أي بلغ، فضمنه معنى البلوغ» (الاشموني 3 : 785).

لكن ابن الحاجب يجعله شاذاً، ويقول : «وشذ رُحِبْتِك الدار : أي : رحبت بك» فكثر استعماله، فحذفوا الباء اختصاراً، فهو في الحقيقة غير متعدّ ؛ فإنك لو قلت : شُرفت بكذا : لا يكون متعدداً، فشذوذ من جهة استعماله على صورة المتعدي. قال الخليل، قال نصر بن سيار : أرحبكم الدخول في طاعة ابن الكرماني» أي : أوسعكم، فعداها، وهي شاذة. (الرضي 1 : 75).

ب — كما اعترض ابن الحاجب على فكرة التحويل عند سيويه والكسائي وجمهور النحاة في باب «سُدْتُهُ» وقال : «إن سُدْتُهُ ليس من باب (فَعْلٌ) في الأصل ؛ لأنه لم يجيء في الصحيح (فَعْلٌ) متعدداً في الأصل. ولا هو منقول إلى هذا الباب على رأي من قال : إن أصل سُدْتُهُ : سَوَدْتُهُ، بفتح العين، على وزن : فَعَلْتُهُ، وإن أصل بَعَثْتُهُ : بَيَّعْتُهُ، بفتح العين، على وزن فَعَلْتُهُ ؛ لأنه لما علم أن العين منهما تحذف لالتقاء الساكنين عند انقلابها ألفاً، فلا يتمييز الواوي عن اليائي حوّلوا الواوي إلى (فَعْلٌ) بضم العين ؛ أي سَوَدْتُهُ إلى سَوَدْتُهُ، واليائي إلى (فِعْلٌ) بكسر العين ؛ أي بَيَّعْتُهُ إلى بَيَّعْتُهُ. ثم نقلت حركة حرف العلة إلى الفاء، فصارا إلى : سَوَدْتُهُ وبَيَّعْتُهُ، ثم حذف حرف العلة لالتقاء الساكنين، فصارا إلى : سُدْتُهُ وبَعَثْتُهُ (الرضي 1 : 78 — 79).

وقد رفض ابن الحاجب أن يكون الضم

وحركة الواو في (خَوْف) فالدلالة هنا دلالة بنية،
لدلالة حرف.

ونحو : طال زيد، إن أردت به ضد قصر،
فإنه لا يكون إلا بالضم. «وأصله (طَوَّل) على وزن
قَصَّر، فانقلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها.
وتقول في المضارع : يطول، والأصل : يَطْوُل على
وزن يقتل، فنقل ضمة الواو إلى الطاء، فتسكن
الواو، وقبلها ضمة، فثبت. وأعلوا المستقبل كما أعلوا
الماضي ليجري الفعل على وتيرة واحدة» (اللبي :
53).

و(طال) هذه التي بمعنى (قَصَّر) لاتعدى، كما
أن قَصَّر كذلك، فلا يجوز أن تقول : طَلَّته، كما
لانتقول : قَصَّرته، وذلك لأن وزن (فَعَّل) لا يكون إلا
لازما. يقول سيبويه (2 : 359) : «ولا يكون طَلَّته
كما لا يكون فَعَّلته في شيء».

«وأما قولهم : طاولني فطَلَّته، فمعناه : كنت
أطول منه، من الطول والطَوَّل جميعا، الذي هو
الفضل، فهو فَعَّلْت بفتح العين، محولة من فَعَّلْت إلى
فَعَّلْت، مثل : قَلْت ... حَوَلْت طَوَّلْت بفتح
الواو إلى طَوَّلْت بضم الواو، وأسقطوا فتحة الطاء،
ونقلوا إليها ضمة الواو ... ثم سقطت [الواو]
لسكونها وسكون ما بعدها، وبقيت الضمة في الطاء
تدل عليها» (اللبي : 54) قال الشاعر :

إن الفرزدق صخرة عادية

طالت، فليس تناها الأوعالا (8)

يريد : طالت الأوعالا، فنصب به الأوعالا.

وتصح الواو ولا تحذف في نحو : وَسَمَّ
يُوسِمُ، وَوَضُوَّ يُوَضُّو، وَوَجَهَ يُوَجِّه، وَوَحَمَّ يُوَحِّمُ؛
وَوَقَّحَ يُوَقِّحُ ؛ لأن مضارع (فَعَّل) بالضم لا يجيء إلا
على طريقة واحدة، وهي يفعل، ولا يتغير عن وزنه ؛
لئلا يختلف الباب، أعني : أن يتغير أحد الفعلين ولا

والكسر فيهما للنقل من العين إلى الفاء لسبيين :
مخالفة الأصل لفظا ومعني ؛ أما لفظا فظاهر، وأما
معنى فلاختلاف معاني الأبواب. وقال : «وأما باب
(سُدَّته) فالصحيح أن الضم لبيان بنات الواو لا للنقل،
وكذلك باب (بَعَّته). وراعوا في باب (خَفَّت) بيان
البنية». (الرضي 1 : 74) وهنا يرد ابن الحاجب على
من اعترض بأن الحركة لو كانت لبيان بنات الواو
لوجب الضم في «خَفَّت» لأنه من الخوف. وذلك
لأن الكسرة في (خَفَّت) إنما هي لبيان البنية، والدلالة
على البنية أهم من بيان بنات الواو والياء ؛ لتعلق
الأول بالمعني، والثاني باللفظ ؛ أي إن كسرة الفاء
في نحو «خَفَّت» وجهت للدلالة على حركة العين،
ولم يمكن الدلالة على ذلك — أي على حركة العين
— في نحو «قَلَّت وِبَعَّت» لأن أصلهما : قَوْل وِبِيح،
بفتح الفاء والعين، فالفتح فيهما لا يدل على حركة
العين، بخلاف خَفَّت وجهت ؛ فإن كسرة الفاء فيهما
تدل على كسرة العين.

«فَعَّل» بين الاعتلال والصحة :

ولم يجيء من (فَعَّل) أجوف يأتي إلا في كلمة
واحدة، وهي : «هَيَّو الرجل، أي صار ذا هيئة. ولم
تقلب الياء في الماضي ألفا، إذ لو قلبت لوجب إعمال
المضارع بنقل حركتها إلى ما قبلها وقلبها واوا، لأن
المضارع يتبع الماضي في الاعلال، فكنت تقول : هَاءُ
يَهْو. فيحصل الانتقال من الأخرى إلى الأنتقل»
(الرضي 1 : 76).

«ولو قلت في باب (زُدَّت) فَعَّلْت، لقلت :
زُدَّت تزود، كما أنك لو قلتها من (رَمِيَتْ) لكانت :
رَمُو يرمو، فتضم الزاي كما كسرت الخاء في (خَفَّت)
وتقول (تزود) كما تقول (مُوقِن) لأنها ساكنة قبلها
ضمة» (سيبويه 2 : 360)، يعني أن الضمة في
(زُدَّت) تدل على حركة العين ؛ لأن أصله (زَوَّدت) على
وزن (فَعَّل) كما أن الكسرة في (خَفَّت) تدل على

يتغير الآخر.

«... نعم الثواب، وَحَسُنْتَ مَرْتَفَقًا» (الكهف : 31)
«قال بَصُرْتُ بما لم يَبْصُرُوا به...» (طه : 96)
«وضاقت عليهم الأرض بما رَحَبَتْ» (التوبة : 118)
«ضَعَّفَ الطالب والمطلوب» (الحج : 73)
«ولكن بَعُدَتْ عليهم الشقة» (التوبة : 42)
«وما يَعُزُّبُ عن ربك من مثقال ذرة» (يونس : 61)

وذكر «بَحْرَقَ» في كتابه : «فتح الأقفال وحل الإشكال» (ص 11 — 13) نحو مائة مثال صحيحة في هذا الباب، منها : جَنَّبَ، وَصَلَّبَ، وَعَزَّبَ الشيء ؛ أي خفى وَقَشَّبَ الثوب، صار جديدا أبيض. وَأَزَّبَ الطين، وَنَجَّبَ الرجل، وَبَحَّت الشيء ؛ أي خلص، وَصَلَّتْ جبينه، فهو صلت الجبين ؛ أي واضحه، وَقَرَّتْ الماء ؛ أي عذب، فهو قرات، وَكَمَّتْ الفرس، فهو كमित ؛ أي أحمر يميل إلى السواد، وَجَبَّتْ الشيء، فهو خبيث، وَبَهَجَ فهو بهيج ؛ أي حسن، وَسَمَّجَ سماجة ؛ أي قبيح، وَصَبَّحَ وجهه، فهو ص ص ح ؛ أي حسن، وَصَرَّحَ الشيء صراحة، فهو صريح، وَفَسَّحَ المكان ؛ أي وسع، فهو فسح، وَفَصَّحَ الرجل، فهو فصيح، وَجَعَّدَ الشعر، وَجَنَّدَ الرجل، وَنَجَّدَ فهو نجد ؛ أي شجاع، وَجَدَّرَ بالأمر، فهو جدير به، وَخَطَّرَ قدره ؛ أي ارتفع، وَكَبَّرَ ؛ أي عظم، فهو كبير وكبار، وكذا صَغَّرَ فهو صغير، وَنَزَّرَ الشيء نذرا ؛ أي قل، فهو نزر، وَكَثَّرَ الشيء كثرة وكثرا، فهو كثير، وَبَوَّسَ بأسا، فهو بيس ؛ أي : شديد شجاع، وَنَفَسَ فهو نفيس ؛ أي مرغوب فيه، وَفَحَّشَ فَحُشًا فهو فاحش، وَرَخَّصَ السعر رُخْصًا فهو رخيص، ضد غلا، وَرَخَّصَ الشيء رخصة فهو رخص ؛ أي ناعم، وَخَفَّضَ عيشه خفضا فهو خفض، وَضَنَّكَ الشيء فهو ضنك، وَوَشَّكَ الأمر : قَرَّبَ، وَبَسَّلَ بسالة فهو باسل ؛ أي شجاع، وَطَفَّلَ فهو طفل ؛ أي رخص ناعم، وَخَلَّمَ جِلْمًا، وَفَحَّمَ الشعر فهو فاحم، وَقَدَّمَ الشيء قَدَمًا، وَخَصَّنَ فهو حصين : امتنع، والمرأة : عفت، فهي

وكذلك لم يجيء من (فَعَّلَ) الناقص اليائي إلا : بَيَّو الرجل يَبْهُو ؛ بمعنى : بَهِيَ يَبْهِي، أي صار بييا، وَنَهَّو الرجل ؛ أي صار ذا نية ؛ لأنه من «التَّهِيَّة» أي العقل. (الرضى 1 : 76).

وقد يجيء (فَعَّلَ) على قلة في باب التعجب من الناقص اليائي، ولا يتصرف كينغم وبنس، فلا يكون له مضارع، وذلك نحو : قَضَو الرجل، أي : مآقضا، وَرَمَوَت اليد، أي : مارماها.

ومن الناقص : سَرَو يسرو ؛ بمعنى : كان صاحب مروءة وسخاء.

ولم يجيء المضاعف من هذا الباب إلا قليلا ؛ لثقل الضمة والتضعيف.

«وحكى يونسى : لَبَيْتَ ثَلَبَ، وَلَبَيْتَ ثَلَبَ أكثر» (الرضى 1 : 77)، ونقل السيوطي في المزهرة (2 : 37) : «شَرَزَتْ تُشَّرُ، وَخَبَيْتَ، وَخَفَّغْتَ، وَذَمَّمْتَ تَدَمُّ دَمَامَةً».

ومنه قول امرئ القيس :

فقلت اقتلوا عنكم بمزاجها

وَحُبَّ بها مقتولة حين تقتل (9)

هذا، وقد ذكر بعض الباحثين (10)، أن هذا الباب (فَعَّلَ يَفْعُلُ) لم يرد منه في القرآن الكريم سوى فعلين، هما : كَبَّرَ يَكْبُرُ، وَبَصَّرَ يَبْصُرُ. والحق أن القرآن الكريم ورد فيه (فَعَّلَ يَفْعُلُ) في كثير من الآيات، وعلى سبيل المثال قوله تعالى :

«... وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا» (النساء : 69)

«وإن كان كَبِيرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ» (الأنعام : 35)

«فمن ثَقَلَتْ موازينه فأُولَئِكَ هم المفلحون»

(المؤمنون : 102)

(رَكِبَ، شَرِبَ) أو العواطف (غَضِبَ، فَرِحَ، حَزِنَ) وكثيرا ما يكون موقف الفاعل فيها سلبيا، يتلقى الفعل بدون إرادة (كَبِعَ، خَسِرَ، رَيْحَ، مَرَضَ) «البكوش : 97) فالتمييز في هذا الباب يحصل إذن بفضل المعنى، كما رأينا في باب (فَعَلَ).

«فَعَلَ» بين اللزوم والتعدي :

وأفعال هذا الباب تأتي لازمة ومتعدية. ومن أمثلة اللزوم علاوة على ماتقدم : بَرِثَتْ ذِمَّتَهُ تَبْرَأُ، وَحَطِيءٌ يَخْطَأُ، وَطِفِثَتِ النَّارُ تَطْفَأُ، وَظَمِيءٌ يَظْمَأُ، وَتَعَبٌ يَتَعَبُ، وَرَهَبٌ يَرْهَبُ، وَرَغَبٌ يَرْغَبُ، وَسَعَبٌ يَسْعَبُ، وَطَرِبَ يَطْرِبُ، وَعَجَبٌ يَعْجَبُ، وَلَجِبَ الْقَوْمُ : ارتفعت أصواتهم، وَلَزِبَ بِهِ : أي لصق، وَنَشِبَ فِيهِ، وَشِمَتْ بِهِ، وَحَنِثَ فِي يَمِينِهِ، وَدَمِثَ الْمَكَانَ : سهل، وَأَرَجَ الطَّيْبُ : تَوَهَّجَ، وَحَرَجَ : أَيْمَ، وَصَدْرُهُ : ضَاقَ، وَنَضِجَ اللَّحْمُ نُضْجًا، وَالثَّمَرَةُ : أَدْرَكَتْ، وَجَهَدَ عَيْشَهُ جُهْدًا : نَكِدَ وَضَاقَ، وَسَعِدَ سَعَادَةً، فَهُوَ سَعِيدٌ، وَصَعِدَ فِي السَّلْمِ صُعُودًا. وَلَمْ يَسْمَعْ صَعِدَ فِي الْجَبَلِ، بَلْ صَعَدَ فِيهِ تَصْعِيدًا، وَعَبِدَ إِلَيْهِ عِبَادًا، وَسَهَدَ سُهْدًا وَسَهَادًا، وَحَصِرَ صَدْرُهُ : ضَاقَ، وَلِسَانُهُ : عَجِيَ، فَلَمْ يَنْطِقْ، وَسَجَرَ مِنْهُ وَبِهِ، وَسَكَّرَ سُكْرًا، وَسَهَّرَ سَهْرًا، وَشَكَّرَتِ النَّاقَةُ فَنِي شُكْرًا ؛ أَي امْتَلَأَتْ ضَرْعَهَا، وَظَفِرَ بِهِ : أَدْرَكَهُ...

ومن أمثلة المتعدي : صَجِبَ، وَحَمِدَ، وَزَرَدَ النَّقْمَةَ ؛ أَي بَلَعَهَا، وَشَهَدَ، وَلَيْسَ وَحَفِظَ، وَوَسِعَ، وَغَنِمَ، وَضَمِنَ، وَبَيَّنَّ، وَفَقِهَ فَقِيهَا فَهُوَ فَقِيهٌ، وَكَرِهَ كَرَاهَةً...

ولزوم (فَعَلَ) المكسور أكثر من تعديه ؛ ولذا غلب وضعه للعلل والأحزان وأضدادها وللنعوت اللازمة، وللأعراض والألوان والعيوب والحلي وكبر الأعضاء، نحو : حَرِبَ جَرِيًّا، وَعَطِبَ عَطْبًا، وَعَرَجَ عَرَجًا فَهُوَ أَعْرَجٌ ؛ إِذَا كَانَ ذَلِكَ بِخَلْقِهِ. وَخَفِرَتْ

حَصَانٌ، وَرَفَقَ عَيْشُهُ رِفَاهَةً وَرِفَاهِيَةً وَرُقُوبِيَّةً، وَهِيَ الْخُصْبُ وَالسَّعَةُ، وَفَرَّةٌ فَرَاهَةٌ وَفَرَاهِيَةٌ فَهُوَ فَرَاهٌ ؛ أَي حَازِقٌ، وَثَبَّةٌ نَبَاهَةٌ، فَهُوَ نَابَهُ وَنَبِيَهُ... إِلَى آخِرِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ الَّتِي ذَكَرَهَا «بِحَرْقٍ». وَنَخْلَصُ مِنْ هَذَا إِلَى :

أ — أَنْ (فَعَلَ) لَمْ يَرِدْ يَأْتِي الْعَيْنَ، وَلَا يَأْتِي اللَّامَ، وَلَا مِضَاعِفًا إِلَّا قَلِيلًا فِي حِينٍ أَنْ غَيْرِهِ مِنْ اثْنَلَاثِي قَدْ تَكُونُ عَيْنُهُ أَوْ لَامُهُ يَاءٌ، كِبَاعٍ وَرَمَى وَهَابٌ وَقَوِيٌّ.

ب — وَأَنْ هَذَا الْفِعْلُ لَا يَكُونُ إِلَّا لَازِمًا ؛ لِأَنَّ مَعْنَى الْفِعْلِيَّةِ فِيهِ نَاقِصٌ ؛ لِعَدَمِ تَنَوُّعِ حَرَكَتِهِ، كَمَا أَسْلَفْنَا.

والمستبعد للأمثلة التي أوردتها «بحرق» في كتابه، يلحظ أنه يربط دائما بين الصيغة والدلالة، كما في قوله (ص 12) : «وَطَمَعُ طِمَاعِيَّةٌ فِيهِوَ طَمِعٌ كَكَيْفٍ، أَي كَثِيرِ الطَّمَعِ. وَأَمَّا طَمِعٌ فِي كَذَا فَبِالْكَسْرِ ... وَوَسِعَ وَسَاعَةً وَوُسْعَةً فِيهِوَ وَاسِعٌ. وَأَمَّا وَسِعَهُ فَبِالْكَسْرِ، وَكَمَا رَأَيْنَا عِنْدَ سَبِيحِيهِ فِي (طَال) ضَدَّ (قَصُرَ).

ف (فَعَلَ) مِنْ أَفْعَالِ اللَّزُومِ الْخَاصَّةِ بِالطَّبَائِعِ وَمَا جُبِلَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ، وَأَنْ رِبَطَ هَذِهِ الصِّيغَةُ بِالصِّفَاتِ اللَّازِمَةِ يَمْنَحُهَا صِفَةَ الثَّبَاتِ وَالِاسْتِقْرَارِ اللَّغَوِيِّ. هَذَا عِلَاقَةٌ عَلَى مَا فِيهَا مِنْ مَعْنَى الْإِنْتِظَامِ. وَقَدْ اخْتَبِرَتْ حَرَكَةُ الضَّمِّ لِهَذَا الْبَابِ، وَهِيَ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِإِنْتِظَامِ إِحْدَى الشَّفَتَيْنِ إِلَى الْأُخْرَى ؛ رِعَايَةً لِلْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى.

(5) باب «فَعَلَ» :

هذا الباب ليس له إلا مضارع واحد، هو (يَفْعَلُ) بالفتح، فتمتد إلى الماضي (فَعَلَ) عرف المضارع. وهو يأتي «للتعبير عن حالة وقتية في الغائب، أو فِعْلٌ يَقَعُ فِي مَسْتَوَى الْخَوَاسِ (طَمِعَ، سَبِعَ) أَوْ الذَّهْنِ (حَسِبَ، فَنِمَ، عَلِمَ) أَوْ الْجِسْمِ

اللازمة، وذلك نحو : نَبِي اللحم ونَهَو فهو نَهِي لم
يَنْصَح، ووَبَت الأرض ووَبُوت أسبابها الربا :
بالقصر. محركا ميموزا، وقد يمد، وهو الطاعون.
وهنِيء الشيء وهنُو فهو هنِيء ؛ أي بلا مشقة،
ورَحِب المكان ورَحِبَ : اتسع. ورَطِب الشيء
ورَطِبَ فهو رَطِب، ضد اليابس... وشَهَب لونه
وشَهَبَ فهو أشهب، والشهبة بياض يخالطه سواد»
(بحرق : 18) ومنه : نَجِسَ ونَجَسَ نجاسة، ضد
الطياراة، ونَجَسَ ونَجَسَ، ضد سَعِدَ. وخرِفَ الشيخ
وخرِفَ ؛ فسد عقله. وعَجَفَ وعَجَفَ فهو
أعجف : هزيل. وقَشِفَ وقَشِفَ تشافة، وهي رثانة
الهيئة وسوء الحال. ونَجِفَ جسسه ونَجِفَ : دق.
وسَقَمَ وسَقَمَ : مَرَضَ، وقَفَى وقَفَى فهو قفیه، وسَفَى
وسَفَى فهو سفیه...

(6) أما مجيء «فَعِلَ يَفْعِلُ» من هذا الباب، فهو من
باب التشبيه بفعل يَفْعَلُ «فَتَعِمَّ يَتَعِمُّ في هذا محمول
على كَرَم يَكْرُم» (ابن جني 1 : 379). وقد جاء
الكسر وجوبا في مضارع : وَمَيَّ وَوَتَّقَ وَوَفَّقَ وَوَلَّى
وَوَرِثَ وَوَرِعَ وَوَرِمَ وَوَرِيَ المَخَّ وَوَعِمَ. وبكسرها
جوازا مع الفتح في مضارع : حَسِبَ وَيَعِمَ وَيَسَّ
وَيَسَّ وَوَجَرَ وَوَلَّ وَوَهَلَ وَوَلَّجَ وَوَهَّجَ وَوَهَّجَ
وَوَبَّقَ وَوَلَّجَ وَوَصَّبَ» (السيوطي 2 : 37).

ويعد هذا الباب (فَعِلَ يَفْعِلُ) الصورة الشاذة
لباب (فَعِلَ يَفْعَلُ) ؛ لذا فهو مقصور على السماع،
وليس بابا مستقلا كما يعده الصرفيون.

ثانيا : أبواب الفعل من حيث الدلالة :

(أ) دلالة الصيغة :

توصلنا في النقطة السابقة إلى بعض المعايير
العامية لأبواب الفعل الثلاثي، وهي :

1 - أن الأصل في مضارع (فَعَلَّ) إذا لم يعرف

الجارية فهي خَفيرة : أي شديدة الحياء. وشَتَرَ فهو
أشتر ؛ إذا كان جفن عينيه متعلقا أو شفته العليا
مشقوقة. وصَعَرَ خَدَهُ صَعْرًا، وهو اعوجاج في
الوجه، وعَجَرَ الشيء فهو أعجر ؛ إذا غلظ. وخرَسَ
لسانه فهو أخرس. وشوِشَ فهو أشوس ؛ ينظر بمؤخر
عينيه تكبرا، وفضَّضَ أنفه فهو أفضس ؛ إذا انغرشت
قصبته. وطَرِشَ فهو أطرش وعَمِشَ فهو أعمش، وهو
ضعيف البصر مع سيلان الدمعة غالبا. وتَمِشَ وجبه
فهو تَمِش، وهو نقط سوداء وبيض فيه تخالف لونه.
وبرِصَ برِصًا، ورَمِصَتَ عينه، وهو وسخ أبيض
يجمع في الموق، وعَمِصَتَ : سال رمصيا، ومغصت
بطنه، ورَمِضَ رَمِضًا، وخرِبَطَ البعير خَرِبَطًا، انتفخت
بطنه مع احتباس الخارج، وصلَّعَ صلعا فهو أصلع،
وقَرَعَ رأسه فهو أقرع، ولثَّعَ لسانه فهو ألثَّع، وتَلَفَ
تلفا، وذَلَفَ المريض ذلفا ؛ لازمه المرض وذَلَفَ أنفه
ذلفا : صَعُرَ، فهو أذلف وهي ذلفاء، وتَغَيَّفَ البعير
نَعْفًا : كثر نَعْفُه لدود يخرج من أنفه. وجَذَلَ : فَرَحَ.
وخرَجَلَ : دَهَشَ. وغَلِمَ غلمة : اشتدت شهوته.
وهرَمَ هَرَمًا، وجَبِنَ جبنا : عظمت بطنه لداء يسمى
الجبين. وبرَحَتَ عينه برَحا، وهي أن يكون بياضها
محدقا بسوادها، ودَعِجَ دَعِجًا ودُعِجَة، وهو شدة
سواد العين مع سعتها. وسَوَدَ سوادا، فهو أسود،
وخرِمَ خُرْمَةً، وخرِضَ الخُرِضَ وغيره فهو أخرض،
وصَفَرَ صُفْرَةً، فهو أصفر، وعَفِرَ العَفِرَ عَفْرَةً فهو
أعفر، وهي حُمْرة تعلق بياضه، وغير لونه فهو أعبر،
وسَجَمَ سَجْمَةً فهو أسحم : أسود، ومثله : سَجَمَ
بالحاء المعجمة، وظَلِمَ الليل ظلمة، وغَسِمَ، وقَتِمَ،
وذَجِنَ اليوم دُجْنَةً : أطبق على غيمه، وذَكِنَ فهو
أدكن : لون أحمر يضرب إلى السواد..

وللدلالة هذا الباب على النعوت اللازمة «قد
يشارك (فَعَلَّ) المضموم في فعل واحد بمعنى واحد،
فيكون في ماضي ذلك الفعل لغتان : فَعَلَّ بالضم،
وفَعِلَ بالكسر ؛ لاشتراكهما في الدلالة على النعوت

الاتصاف. فالضمة تميزه عن بقية الأفعال،
وتجعله ضعيف التصرف ثقيله. ولعل هذا ما
يفسر ميل بعض العرب إلى نطقه. (فَعَلٌ)
بإسقاط ضمة العين.

3 — وأما (فَعِلٌ) فليس له إلا مضارع واحد
(يَفْعَلُ) فمتى عرف الماضي عرف المضارع.
وما جاء منه على (فَعِلٌ يَفْعَلُ) فلا يعدو أفعالا
معدودة، أكثرها من باب المثال، وقد تقدم
ذكرها.

تبقى هذه النقطة المهمة، وهي :

هل يمكن أن نضيف إلى هذه المعايير معيارا
آخر ؛ لضبط عين الفعل، هو معيار المعنى ؟

نحن في اللغة العربية نفتح المعجم مرتين ؛ مرة
لضبط عين الفعل، وأخرى لفهم المعنى. في حين أن
الآخرين يفتحونه مرة واحدة ؛ فالغريون — مثلا —
يفتحون المعجم لفهم معنى الكلمات.

من هنا كان الوصول إلى شكل ثابت لعين
الفعل عن طريق الدلالة يعدّ من القضايا اللغوية
الملحة. ولقد لاحظنا عند عرض النقطة الأولى الخاصة
بصيغ أبواب الفعل أن جانب المعنى له دخل كبير
في ضبط عين المضارع، كما رأينا عند الكلام على
صيغة (فَعَلٌ)، وصيغة (فَعِلٌ) ؛ فالأولى تدل على
الطبع والسجية، والثانية تدل على فعل يقع في مستوى
الحواس أو الذهن أو الجسم أو العواطف... إلخ.

«وكثيرا ماتستعمل العربية هذا التنوع الحركي
في عين الفعل لغايات تمييزية، وإحداث فروق معنوية
متفاوتة الأهمية، مثل : تَفَرَّ يَنْفِرُ : تجنب الشيء أو
كرهه، ويَنْفِرُ = نزل مع الناس من عرفات.

لكن هذه الطاقة التمييزية الهامة، لا يمكن للغة
أن تسرف في استغلالها، لاعتمادها الإفراط في الدقة،

أو يشتهر أن يجيء بالضم (يفعل) أو بالكسر
(يفعل) إلا إذا كان صحيحا حلقي العين أو
اللام، فيغلب عليه (يفعل).

أما إذا عرف واشتهر فلا يتعدى ما
أنت فيه الرواية، كسراء، نحو : ضرب
يضرب، أو ضما، نحو : قتل يقتل. وحفظ
المشهور — كما يقول اللبلي (ص 31) —
ليس لكل إنسان ؛ فلا يأتي من لم يدرس
الكتب، ولا اعتنى بالمحفوظ، فيقول : قد
عدمت السماع، فيختار في اللفظة يفعل أو
يفعل. ليس له ذلك.

2 — وأن (فَعَلٌ) مضارعه يلزم حالة واحدة
(يفعل) ولذا يجوز بناؤه من (فعل) أيا ما
كان ؛ لأن مضارعه لا يختلف «ألا تراك كيف
تحذف فاء (وَعَدَ) في (يَعِدُ) ؛ لوقوعها بين
ياء وكسرة ؟ وأنت مع ذلك تصحح نحو :
وَضُوٌّ وَوَطُوٌّ ؛ إذا قلت : يَوْضُوٌّ وَيَوْطُوٌّ، وإن
وقعت الواو بين ياء وضمة ؟ ومعلوم أن
الضمة أثقل من الكسرة ؟ لكنه لما كان
مضارع (فَعَلٌ) لا يجيء مختلفا لم يحذفوا فاء
وَضُوٌّ وَوَطُوٌّ، ولا وَضَعٌ ؛ لئلا يختلف باب
ليس من عادته أن يجيء مختلفا» (ابن جني
1 : 378).

ومن هنا لا يسمى باب (فَعَلٌ) فعلا
بالمعنى الصحيح للفعل ؛ لأن فيه انسلاخا
عن الحدث واتصافا بما يشبه الطبع
والسجية ؛ فهو أدخل في باب التعجب
والمدح والذم منه في باب الأفعال
والأحداث.

يقول سيويه (2 : 257) : «أما
(فَعَلٌ) فلا تتغير حركته في المضارع لأنه
لا يدل على قيام الفاعل بالفعل، وإنما يدل على

وهو ما يستلزم مجيئاً عظيماً في مستوى الذاكرة، لذلك كانت جل الأفعال المزدوجة الحركة في المضارع نحالية من التمييز المعنوي، مثل شتمُ.

ولذلك نلاحظ أن العربية تطوّرت نحو إلغاء هذه الفويرقات في مستوى الاستعمال بحكم قانون الاقتصاد اللغوي. إلا أن هذا التمييز بقي حياً إذا كان قائماً على مقابلة تامة بين الماضي والمضارع، مثل :

هَوَى يَهْوِي = سقط

هَوِيَ يَهْوِي = أحب

رَوَى يَرْوِي = حكى

رَوَى يَرْوِي = أطفأ العطف (البكوش) :

(96 - 95)

والتبع لمواد المعجم يلحظ هذا الربط واضحاً بين دلالة الفعل وصيغته. وعلى سبيل المثال :

يقال :

فَقَمَّ الأمرُ يَفْقُمُ فقامةً وفقوماً : بمعنى استفحل شراً. وفقَمَ الرجلُ يَفْقُمُ فقماً وفقماً : طال أحدُ فكَيْهِ وقصر الآخر.

وفقِمَ الإناءُ : امتلأ.

ويقال :

بَرَّ حَجَّهُ يَبْرُ بَرّاً : قبل.

وبَرَّ والديه يَبْرُ بَرّاً : توسّع في الاحسان إليهما ووصلهما.

وبَرَّ فلاناً يَبْرُ بَرّاً : قهره بفعل أو قول.

وإذا حاولنا أن نعدّد المعاني التي تفيدها الأفعال من أبوابها المختلفة، وذلك من خلال الأمثلة التي عرضها سيوييه، ومن خلال كتب اللغة الأخرى، كالخصائص لابن جني، والمختصّ لابن سيده، وشرح الشافية للرضي، والمزهر للسيوطي... وجدنا كثيراً من هذه المعاني مشتركة بين أكثر من باب، وبعضها يختص بباب معين، كما يتضح من العرض الآتي :

(1)

الباب الأول : فَعَلَ يَفْعُلُ، بفتح العين في الماضي وضمها في المضارع. ويأتي من هذا الباب الأفعال الدالة على :

1 - الطلب، نحو : طلب يطلب، نشد ينشد، غزا يغزو.

2 - الهدوء، نحو : قعد يقعد، ثبت يثبت.

3 - الاعتداء، نحو : قتل يقتل، ساء يسوء.

4 - الحركة والسير والاضطراب، نحو : جال يجول، ثار يثور، رقص يرقص، عدا يعدو.

5 - الصوت، نحو : صات يصوت، جلب يجلب (11)، دق يدق.

6 - التحصيل والرفعة، نحو : علا يعلو، ساد يسود، فاق يفوق.

7 - الجوع والعطش، نحو : جاع يجوع، ناع ينوع، صام يصوم.

8 - الجبن، نحو : جبن يجبن (12).

9 - الدنو أو الابتعاد، نحو : دنا يدنو، بدا يبدو، هرب يهرب، غرب يغرب.

10 - الحسن، نحو : نضر ينضر.

11 - الأخذ والعطاء، نحو : رشا يرشو، جاب يجاب، سطا يسطو، أخذ يأخذ، ردّ يرّد.

12 - العمل، نحو : كتب يكتب، رسم يرسم (13)، طبخ يطبخ.

13 - الأكل، نحو : أكل يأكل، مضغ ي مضغ.

14 - الانتهاء، نحو : فرغ يفرغ، برأ يبرؤ.

(2)

الباب الثاني : فَعَلَ يَفْعُلُ، بفتح العين في الماضي، وكسرها في المضارع.

ويأتي من هذا الباب الأفعال الدالة على :

1 - الطلب والأخذ، نحو : صاد يصيد، حلب يحلب. (14)

9 — الكره والامتناع، نحو : أُنِي يَأْنِي، بَدَأَ يَبْدَأُ، جَحَدَ يَجْحَدُ.

(4) الباب الرابع : فَعَلٌ يَفْعَلُ، بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع، ويأتي من هذا الباب الأفعال الدالة على :

1 — الداء أو العلة، نحو : وَجِعَ يُوجِعُ، حَبِطَ يَحْبُطُ، عَمِيَ يَعْمي.

2 — الخوف أو الذعر، نحو : وَجِلَ يُوجِلُ، فَرِعَ يَفْرِعُ، خَافَ يَخَافُ، خَشِيَ يَخْشَى.

3 — الحزن أو الغم، نحو : ثَكِلَ يَثْكَلُ، قَلِقَ يَقْلِقُ، حَزِنَ يَحْزِنُ، نَدِمَ يَنْدَمُ.

4 — العيب، نحو : عَوَّرَ يَعَوِّرُ، حَقِقَ يَحْمَقُ.

5 — ترك الشيء، نحو : زَهَدَ يَزْهَدُ، سَامَ يَسَامُ.

6 — التعلق بالشيء، نحو : هَوِيَ يَهْوِي، رَغِبَ يَرْغَبُ، شَهِيَ يَشْهِي.

7 — الحركة والاضطراب، نحو : نَشِطَ يَنْشِطُ، أَرَجَ يَأْرَجُ، هَوَجَ يَهْوَجُ، نَزِقَ يَنْزِقُ.

8 — السهولة أو التعذر، نحو : سَلِسَ يَسَلِسُ، شَكِسَ يَشْكَسُ.

9 — الفرح، نحو : فَرِحَ يَفْرَحُ، طَرِبَ يَطْرِبُ، ضَحِكَ يَضْحَكُ، بَطَرَ يَبْطُرُ.

10 — الجوع أو العطش، نحو : صَدِيَ يَصْدِي، ظَمِيَ يَظْمَأُ، عَطَشَ يَعْطَشُ.

11 — الشبع أو الامتلاء، نحو : رَوِيَ يَرْوِي، مَلِيَ يَمْلَأُ (18)، ثَمِلَ يَثْمَلُ، بَطِنَ يَبْطِنُ.

12 — اللون، نحو : حَمِرَ يَحْمَرُ، شَهَبَ يَشْهَبُ، صَدَى يَصْدَأُ.

13 — القوة أو الكبر، نحو : قَوِيَ يَقْوِي، سَمِنَ يَسْمَنُ، كَبِرَ يَكْبُرُ.

14 — الرفة أو الضعة، نحو : غَنِيَ يَغْنَى، شَقِيَ يَشْقَى، سَعِدَ يَسْعَدُ، بَخِلَ يَبْخُلُ.

15 — الصفة الحميدة أو الحلية، نحو : حَوِرَ

2 — الهدوء والنبات، نحو : حَسِبَ يَحْسِبُ، حَرَمَ يَحْرِمُ (15) رَمَى يَرْمِي.

3 — السير، نحو : مَشَى يَمْشِي، سَارَ يَسِيرُ، جَرَى يَجْرِي، نَحَبَ يَخْبَبُ.

4 — انجىء أو انضى، نحو : جَاءَ يَجِيءُ، رَجَعَ يَرْجِعُ، مَضَى يَمْضِي.

5 — انفور، نحو : نَفَرَ يَنْفِرُ، أُنِقَ يَأْنِقُ، حَادَ يَحِيدُ.

6 — الصوت، نحو : صَاحَ يَصِيحُ، ضَجَّ يَضِجُ.

7 — العطش، نحو : هَامَ يَهِمُّ.

8 — الاضطراب والحركة، نحو : هَاجَ يَهِيحُ، غَلَى يَغْلِي، وَثَبَ يَثِبُ.

9 — القَطْعُ، نحو : كَسَرَ يَكْسِرُ، نَزَعَ يَنْزِعُ.

10 — الصفات اللازمة، نحو : ذَلَّ يَذَلُّ، عَفَّ يَعْفُ، نَحَفَ يَخْفُ.

(3) الباب الثالث : فَعَلٌ يَفْعَلُ، بفتح العين في الماضي والمضارع، ويأتي من هذا الباب الأفعال الدالة على :

1 — الخوف والذعر، نحو : سَعَّ يَسْعَعُ (16).

2 — المنع والإبعاد، نحو : مَنَعَ يَمْنَعُ.

3 — الإيذاء أو الاعتداء، نحو : سَلَخَ يَسْلَخُ، عَضَّ يَعْضُ، ذَبَحَ يَذْبَحُ، شَعَرَ يَشْعُرُ، قَهَرَ يَقْهَرُ.

4 — الصوت، نحو : تَبَّحَ يَتَّبِحُ، نَهَقَ يَنْهَقُ، صَبَّلَ يَصْبَلُ.

5 — القَطْعُ أو الفَتْحُ، نحو : قَطَعَ يَقْطَعُ، فَتَحَ يَفْتَحُ، قَلَعَ يَقْلَعُ، فَغَرَ يَفْغَرُ.

6 — العطاء، نحو : وَهَبَ يَهَبُ، مَنَحَ يَمْنَحُ، نَحَلَ يَنْحَلُ.

7 — الحفظ أو الادخار، نحو : ذَخَرَ يَذْخَرُ، نَحَبًا يَخْبَأُ، جَبَى يَجْبِي (17).

8 — الذهاب أو الابتعاد، نحو : ذَهَبَ يَذْهَبُ، بَعَثَ يَبْعَثُ، شَأَى يَشْأَى، رَمَحَ يَرْمَحُ.

يَحْوَرُ، دَعَجَ يَدْعَجُ، كَجَلَّ يَكْجَلُ.
 16 — الجهل أو العلم، نحو : جهل بجهل، علم يعلم، فهم يفهم.
 17 — الحيرة أو الغضب، نحو : هام بهام، حار يحار (19)، غَوِيَ يَغْوِي، غضب بغضب، حرد يحرد.

وَيَسَّ يَسُّ من المثال اليائي. وَوَرِمَ يَرِمُ، وَوَمِقَ يَمِقُ، وَوَغَرَ يَغِرُ وَوَجِدَ يَجِدُ وَوَجَرَ يَجِرُ، وَوَرَعَ يَرَعُ، وَوَلَعَ يَلَعُ، وَوَزَعَ يَزَعُ، وَوَهِنَ يَهِنُ، وَوَيْقَ يَيْقُ، وَوَصَبَ يَصِبُ، وَوَلَّ يَلَّ، وَوَهَلَ يَهَلُ من المثال الواوي.

«إنما بنوا هذه الأفعال على الكسر ليحصل فيها علة حذف الواو فتسقط، فتخف الكلمة. وجاء : وَجَرَ صدره من الغضب، وَوَجَرَ بمعناه، يَجِرُ وَيَغِرُ، وَيَوَجِرُ وَيَوَجِرُ أَكْثَرُ. وجاء : وَرَعَ يَرَعُ على الأكثر، وجاء يَوَرَعُ وجاء وَلَّ يَلَّ، وَيَوَلَّه أَكْثَرُ (الرضي 1 : 135 — 136) ومثله : وَهَلَ يَهَلُ وَيَوَهَلُ.

(5) الباب الخامس : فَعَلَّ يَفْعَلُ، بضم عين الماضي والمضارع. ويأتي من هذا الباب الأفعال الدالة على :

- 1 — الحسن، نحو : حَسُنَ يَحْسُنُ، وَسَمَّ يُوَسِّمُ، جَمَلٌ يَجْمَلُ.
- 2 — القبح، نحو : قَبِحَ يَقْبِحُ، شَقِحَ يَشْتَقِحُ.
- 3 — الخصلة، نحو : نَظَفَ يَنْظِفُ، صَبَحَ يَصْبِحُ، طَوَّهَرَ يَطْهِّرُ.
- 4 — الصغر أو الكبر، نحو : صَغُرَ يَصْغُرُ، كَبُرَ يَكْبُرُ، كَثُرَ يَكْثُرُ، قَدُمَ يَقْدُمُ.
- 5 — الشدة أو الجراءة، نحو : شَجِعَ يَشْجَعُ، جَرُّوْهُ يَجْرُوْهُ، صَعِبَ يَصْعَبُ.
- 6 — اللين أو الضعف، نحو : سَهِّلَ يَسْهِّلُ، ضَعُفَ يَضْعُفُ، جَبُنَ يَجْبُنُ.
- 7 — السرعة أو البطء، نحو : بَطَّؤَ يَبْطِئُ، كَسَّهْتُ يَكْسُهُ، سُرِعَ يَسْرِعُ.
- 8 — الرفعة أو الضعة، نحو : شَرَفَ يَشْرَفُ، كَرِمَ يَكْرِمُ، لَوِّمَ يَلْوِمُ، وَضَعَّ يَوَضِعُ، سَرَّوْهُ يَسْرُوْهُ.
- 9 — العقل، نحو : ثَقَلَ يَثْقُلُ، حَلَمَ يَحْلُمُ، رَزُنَ يَرْزُنُ، نَبُهَ يَنْبُهُ.
- 10 — الجهل، نحو : حَمَقَ يَحْمَقُ، خَرَقَ يَخْرُقُ، رَفَعَ يَرْفَعُ.

وجوزوا تغيير بعض المكسور إلى الفتح لأجل حرف الحلق ؛ وذلك في حرفين [كلمتين] وَسِعَ يَسِعُ وَوَطِئَ يَطِئُ، كما فعلوا ذلك في باب (فَعَلَّ يَفْعَلُ) ففتحوا عين المضارع لأجل حرف الحلق في وَهَبَ يَوْهَبُ ووضَعَّ يَوْضَعُ ووقَعَ يَوْقَعُ وولَعَ يَوْلَعُ. وذلك بعد سقوط الواو. (الرضي 1 : 120، 135، 136).

ونلاحظ من العرض السابق أن الأبواب الثلاثة الأولى (فَعَلَّ يَفْعَلُ ؛ فَعَلَّ يَفْعَلُ، فَعَلَّ يَفْعَلُ) تشترك في أكثر المعاني. وهذا يؤكد وجهة نظر الأقدمين بأن الأصل في عين مضارع (فَعَلَّ يَفْعَلُ) الضم أو الكسر ما لم يكن حلقي العين أو اللام، وأن الوجهين (أي الضم والكسر) جائزان ما لم يشتهر أحدهما. وذلك يقودنا إلى القول بأن الاعتماد على الدلالة في تمييز هذه الأبواب يستلزم مجهودا عظيما في مستوى الذاكرة. يقول الرضي (1 : 70) :

«اعلم أن باب فَعَلَّ يَفْعَلُ لم يختص بمعنى من المعاني، بل استعمل في جميعها ؛ لأن النطق إذا خف أكثر استعماله واتسع التصرف فيه» وهذه الصعوبة في تمييز أحد الأبواب إنما تقتصر على الفعل الصحيح السالم ؛ أما الأفعال المعتلة فلا يحتاج مستخدم اللغة إلى كبير

(6) الباب السادس : فَعَلَّ يَفْعَلُ، بكسر عين الماضي والمضارع. وهو من الأبواب الشاذة، ولم يأت منه سوى أفعال معدودة، مثل : حَسِبَ يَحْسِبُ، وَنِعِمَ يَنْعِمُ من الصحيح. وَيَسَّ يَسُّ

مشقة في ضبطها ؛ لأن الأفعال ذوات الواو يكون مضارعها مضموم العين، مثل : ساء يسوء، وطال يطول، وسما يسمو وعفا يعفو. والأفعال ذوات الياء يكون مضارعها مكسور العين، مثل : باع يبيع، وسار يسير، ورمى يرمي، وقضى يقضي ؛ باستثناء الناقص حلقي العين، والمثال حلقي اللام، مثل سعى يسعى، ووضع يضع. وأما المضاعف فيقوم التعدي واللزوم بالتمييز بين الضم والكسر، كما أسلفنا.

أما البابان : الرابع والخامس (فَعَلَ يَفْعَلُ، فَعَّلَ يَفْعُلُ) وإن كانا يشتركان في بعض المعاني ؛ وبخاصة في الأفعال اللازمة، لكن يمكن التمييز بينهما بدلالة المعنى.

(ب) دلالة المشتق أو المصدر :

والتمييز بالمعنى لن يقتصر تأثيره على عين الفعل وحدها، وإنما سيتعدى ذلك إلى بناء المشتقات أو المصادر. وقد مرّت بنا بعض الأمثلة التي توضح تأثير التمييز بالمعنى على المصدر وبعض المشتقات للمادة الفعلية الواحدة، مثل :

— بَرَّ والديه يَبْرُّ بَرًّا، توسّع في الإحسان إليهما. وَبَرَّ فلانا يَبْرُّ بَرًّا، قهره بفعل أو قول.

— نَفَرَ يَنْفِرُ نَفَورًا، تجتّب الشيء أو كرهه. وَنَفَرَ يَنْفِرُ نَفَارًا، نزل مع الناس من عرفات.

ومن أمثلة ذلك أيضا :

— بَسَلَ يَبْسُلُ بَسُولًا : عيس غضبا أو شجاعة، فهو باسل وجمعه : بُسُلٌ وبواسل، وهو بسيل وجمعه : بسلاء.

وبَسَلَ يَبْسُلُ بَسَالًا، وبَسَالَةٌ : شجع عند الحرب.

— جَدَرَ الجدرِيّ في البدن يَجْدُرُ جَدْرًا : برز.

وجَدِرَ يَجْدُرُ جَدْرًا : أصابه الجدرِيّ.

وجَدُرَ بكذا يَجْدُرُ جَدَارَةٌ : صار خليقا به، فهو جدِير.

— حَرَمَ فلانا الشيء يَحْرِمُ حرمانًا : منعه إياه.

وَحْرُمَ الشيء يَحْرُمُ حرمة : امتنع.

— حَلَمَ يَحْلُمُ حُلْمًا وَحُلْمًا : رأى في نومه رؤيا، وَحَلَمَ الصَّبِيّ : أدرك...

وَحَلِمَ البعير يَحْلِمُ حَلْمًا : كثر عليه الحَلْم.

وَحَلِمَ يَحْلِمُ حِلْمًا : تأنّى وسكن عند غضب أو مكروه، وَحَلِمَ : صَفَحَ وَعَقَلَ...

— خَطَرَ في مشيه يَخْطِرُ خَطْرًا وَخَطْرَانًا : اهتَزَّ وتبختر.

وَخَطَرَ يَخْطُرُ خَطْرًا وَخَطُورًا وَخُطُورَةً : عظم وارتنع قدره، فهو خطير.

— رَسَمَ يَرْسُمُ رَسْمًا وَرَسْمَانًا : حَسُنَ مشيه، وَرَسَمَ على الأرض أو على الورق : خَطَّ، وَرَسَمَ الكتاب : كَتَبَهُ.

— وَرَسَمَتِ الناقة تَرْسِمُ رَسِيمًا : عَدَّتْ عَدْوًا فوق الدَّمِيلِ، يقال : ذَمَلُ البعير يَذْمُلُ ذُمُولًا، وَذَمِيلًا وَذَمْلَانًا ؛ إذا سار سيرا سريعا لينا، فهو ذامل، وهي ذاملة.

— رَفَهُ يَرْفُهُ رَفِيًّا وَرَفُوهًا : أصاب نعمة وسعة في الرزق، فهو رافه، وهي رافهة.

وَرَفَهُ يَرْفُهُ رَفَاهَةً وَرَفَاهِيَةً، فهو رفيه.

— شَقَّحَ الشيءُ يَشَقِّحُ شَقْحًا، بمعنى : أبعدته. وَشَقَّحَ يَشَقِّحُ شَقْحًا، بمعنى : قبح.

وَشَقِّحَ يَشَقِّحُ شَقْحًا وَشَقِّحَةً، بمعنى : كان أشقح.

— فَرَّهُ يَفْرَهُ قَرَهَا : بطر وأشر، فهو فره. وَفَرَّهُ يَفْرَهُ فَرَاهَةً وَفَرُوهَةً : جمل وحسن.

— فَصَحَهُ الصبح يَفْصَحُ فَصْحًا : غلبه

ضوءه.

وفصح الرجل يفصح فصاحة : انطق لسانه بكلام صحيح واضح.

— تذب الشيء : يلذب لزوبا : ثبت، فهو لازب.

ولذب العين يلذب تذب.

ولذب الشيء يلذب تذب : دخل بعضه في بعض وتماسك.

— نذر الشيء ينذر نذرا : قلله.

ونذر الشيء ينذر نذرة ونزورة : قل.

— نسب الشيء ينسب نسبا ونسبة : وصفه وذكر نسبه.

ونسب الشاعر بفلانة ينسب نسيا ومسيا : عرّض ببواها وحبها.

فتبي الأمثلة السابقة رأينا اختلاف المصدر باختلاف معنى الفعل وتبعه اختلاف الباب غالبا.

(ج) دلالة متعلق الفعل :

ويدخل في دلالة الفعل على الباب متعلقاته من منقول وظرف وجار ومجرور، كما مرّ في بعض الأمثلة. وفي القرآن الكريم :

— ورد الفعل (صَدَّ) متعديا ب «عن» من الباب الأول (فعل يفعل) في قوله تعالى : «وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدّون عنك صدودا» (سورة النساء : 61).

ومتعديا ب «من» من الباب الثاني (فعل يفعل) في قوله تعالى : «ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون» (سورة الزخرف : 57).

— كما ورد الفعل (قدم) متعديا بنفسه من الباب الأول (فعل يفعل) في قوله تعالى : «يقدم قومه يوم القيامة...» (سورة هود : 98).

ومتعديا ب «إلى» من الباب الرابع (فعل يفعل) في قوله تعالى : «وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا» (سورة الفرقان : 23). ومنه : قدم على الأمر، بمعنى : أقبل. وقدم على العيب، بمعنى : رضي به، وقدم من سفره، بمعنى : رجع. وقدم البلدة، بمعنى : دخلها.

ويأتي هذا الفعل لازما من الباب الخامس (فعل يفعل)، يقال : قدم الشيء يقدم، بمعنى : مضى على وجوده زمن طويل، فهو قديم، وجمعه : قداماء وقدامى. وهي قديمة، وجمعها : قدام.

فدلالة معنى الفعل ومتعلقاته من العوامل المساعدة في ضبط عين المضارع، كما رأينا.

وتجدر الإشارة هنا إلى المحاولة التي قام بها «سليمان قياض» لحل مشكلة الفعل الثلاثي العربي ؛ مستخدما المنهج الإحصائي، ومستفيدا من الدراسة التي قام بها «الطيب البكوش» في مؤلفه القيم «التصريف العربي». فقد توصل «قياض» من خلال إحصاء والإحصاء إلى «أن معاني باب (فعل يفعل) يغلب فيها أن تكون معاني وقوع (حدوث) تقوّم وتتعلق بفاعليها، مثل : مات يموت، بمعنى : فني، ونفّر، بمعنى : كره. وأن معاني باب (فعل يفعل) يغلب فيها أن تكون معاني إيقاع (أحداث) يقوم بها الفاعل، مثل : ضرب يضرب، وأنه، على هذا الأساس، أو تلك القاعدة التعليلية، يمكن مراجعة المعاني التي تعدّد فيها باب : فعل يفعل، وفعل يفعل، في المادة الفعلية الواحدة، فنعطي معاني لباب، وأخرى لباب آخر، حين تتحد المعاني بين البابين ؛ إن الفعل (نفر) مثلا، ورد في البابين هكذا : نفر ينفر، ونفر ينفر، ومصدر الأول : نفورا، ومصدر الثاني : نفارا. وهذا الفعل في المعجم العربي معنيان، والمعنيان في البابين مشتركان، وهما : الكراهية، والخروج. وفي ضوء القاعدة التعليلية التي نقول فيها، يمكن معجميا

تكاد تنحصر في البابين الأول والثاني (فعل يفعل، فعل يفعل)، وبخاصة الأفعال الصحيحة السالبة؛ لأن الأفعال المعتلة والأفعال المضاعفة لها ضوابط ذات نزعة تقليدية، تكاد تقترب من التعميد الدقيق. أما الباب الثالث (فعل يفعل) فمقيد بسبب صوتي؛ كونه حلقّي العين أو اللام. تبقى الأبواب الثلاثة الأخيرة: فعل يفعل، وليس له إلا مضارع واحد؛ فمتى عرف ماضيه علم مضارعه. وفعل يفعل، وهو باب لازم مقصور على الصفات اللازمة؛ بل إنه يجوز بناء أي فعل على (فعل يفعل) إذا قصد به التعجب والانسلاخ عن الحدث.

والباب السادس: فعل يفعل، وقد حصره بعضهم في ثمانية عشر فعلا؛ خمسة عشر منها من المثال، وثلاثة من الأجوف. وهذه الأفعال هي:

ورث. ولي. ورم. ورع. وريق. وريق. وريق. وري. وجد. وحق. ورك. وركم. وركه. وهم. وعم. ان. تاه. طاح (25).

هذا إذا استثنينا الأفعال التي جاءت ثنائية العين (فعل يفعل، وفعل يفعل) مثل: وغير يغير، وغير يؤغر، وحسب ونعيم... إلخ.

وفي رأيي أن التفكير في إيجاد حل لمشكلة عين الثلاثي إنما يأتي من خلال التركيب (السياق) لأن الفعل منفردا يمثل الصيغة فقط؛ أما السياق فيمثل الفعل صيغة ومعنى، وهذا ما ينبغي التأكيد عليه عند ضبط عين المضارع؛ لأن المعنى الدلالي ذو تأثير في بناء الفعل، والمصدر أحيانا؛ بل إن اختلاف صيغة المصدر للمادة الفعلية الواحدة قد يستدل به على صيغة الباب كما تقدم.

فليس الحل — إذن — في عمل معجم للأفعال المأنوسة المستخدمة في اللغة، أو في عمل إحصاء للأفعال ثنائية الباب أو العين، وإنما الحل الصحيح يكمن في إيجاد معجم سياقي للأفعال الثلاثية، يرفع عنها الإبهام، ويزيل الشك، ويمنح اللغة ثباتا واطرادا.

ردّ معنى «الخروج» وهو من معاني الاحداث (الإيقاع) إلى صورة الفعل: نفر ينفر، وحدها، وردّ معنى «الكراهية» وهو من معاني الحدوث (الوقوع) إلى صورة الفعل: نفر ينفر، وحدها» (20). وهذا الذي توصل إليه «قياض» سبق أن تنبه له القدماء، «فابن جنبي» كان يرى أن (فعل يفعل) في المتعدي أقيس من (فعل يفعل)، كما أن (فعل يفعل) في اللازم أقيس من (فعل يفعل)؛ أي إنه يفضل الكسر في المتعدي، ويفضل الضم في اللازم... «فضرب يضرب» عنده أقيس من «قتل يقتل»، وكلاهما متعدّ، و«قعد يقعد» أقيس من «جلس يجلس» وكلاهما لازم (21). ومعلوم أن الأفعال المتعدية أفعال إيقاع وإحداث غالبا، وأن الأفعال اللازمة أفعال وقوع وحدث غالبا. بل إن مما يؤكد تداخل المعاني بين الأبواب وتداخل الأبواب تبعا لذلك قول الرضي السابق (22): «اعلم أن باب (فعل) لخصته لم يختص بمعنى من المعاني، بل استعمل في جميعها، لأن اللفظ إذا خف كثر استعماله، واتسع التصرف فيه».

يبقى بعد ذلك ما يميز بابا من باب، وهو الاستعمال كثرة وقلة، وهذا يؤيده ما نقله ابن سيده في المخصص من أن هذين البابين (فعل يفعل، فعل يفعل)، كثيرا ما يتعاقبان فيأتي المضارع من (فعل) المفتوح العين على (يفعل) و(يفعل)، وأنه ليس أحدهما أولى من الآخر، وأنه ربما يكثر أحدهما في عادة ألقاظ الناس حتى يطرح الآخر ويقبح استعماله (23)...؛ أي إن مضارع (فعل) إن كثر استعماله على (يفعل) أو (يفعل) لم يجز فيه ما استعمل على غير ذلك، نحو «ضرب يضرب» و«قتل يقتل»؛ فإن لم يكثر استعماله ولم يشتهر جاز فيه الوجهان، وإن كان الأوضح الكسر كما يقول «أبو علي»، نحو: خفق الفؤاد يخفق ويخفق، وحجل الغراب يحجل ويحجل، وسقط الجذّي يسقط ويسقط (24)...

والخلاصة أن مشكلة النطق بعين المضارع

الموامش والمراجع

الموامش

- 1 - البيت لأمريء القيس، ومصدره :
«أَلَيْعِمٌ صَبَاحًا أَيَا الطَّلَلِ الْيَالِي»
وإبروي : «وهل يَعْشُرُ» ومعناه : «وهل يُعْمِنُ»، يقال : وعِمَ بعم، في معنى : نعم بعم. (سبويه 2 : 227).
- 2 - اللُحُو : لحاء الفصن، وهو قشره. وإذا فعل به ذلك ذبل واعوجَّ فضرَب مثلاً لذهاب نضرة الشباب وتغيّر الجسم للكبر (سبويه 2 : 227).
- 3 - الكوم : جمع كوماه، وهي الأبل العظيمة السنام. يصف الشاعر إبلا لا ينحر منها للأضياف، فهي تنعم بهم عينا ؛ لأنها منهم، ولا تنور من مباركتها غفافة أن تنحر. (سبويه 2 : 227).
- 4 - سبأني في باب «فعل يَفْعُل» وباب «فعل يَفْعُل» أن الأصل في عين المضارع الضم أو الكسر... فهذا هو المقصود بكلمة «أصلها». أي لم يأت حلقى الفاء على «فعل يَفْعُل» مثل حلقى العين أو اللام، وإنما جاء على الأصل، وهو ضم عين المضارع أو كسرها ؛ لأن حرف الحلق في هذه الحالة يكون ساكناً في المضارع، فلا يكون ثقبلاً بوقوع الضمة أو الكسرة على عين الفعل بعده.
- 6 - تتل الأفعال الملتدة والأفعال المضاعفة نوعاً من التحول الداخلي في الكلمة، يراد به الارتقاء اللغوي ؛ فالإعلال في غاية يراد للتصحيح، وهو وسيلة سانية لبقية، ذلك أن المثل كان على الصحيح من بابه في أقدم عهود اللغة، لا كما ظنَّ النحاة من أن ما قبل الإعلال افتراض تعليمي... ومن ثم رأينا الإعلال يفيد المعنى الطبيعي في مثل : طال بطول. أما التصحيح، وهو التمكن اللفظي بإظهار حرف العنة مع موجب الإعلال، كما في : طَوَّلَ، فيفيد المعنى يتكلف أو باضطراب. وهذا يفسر لنا التصحيح مع موجب الإعلال في الباب الخامس (مثل يَفْعُل) نحو : قَوِّمَ يَفْعُلُ، وثَوِّمَ يَفْعُلُ، وطَوَّلَ يَفْعُلُ... حتى يفيد المعنى يتمجج.
- ويرتبط هنا بقضية الأصل والفرع، فقد شغل اللغويون بهذه القضية، وقرروا أن الصحيح أصل للتمتل. وأن الثكرة أصل للمعرفة، وأن المفرد أصل للجمع، وأن المذكر أصل للمؤنث. ومعرفة الأصل تخضع لانزياحات لغوية عامة، منها : أن العرب يكرهون أن يتكرر صوت صامت مرتين متتاليتين مع مصوت قصير يفصل بينهما، وذلك موجود في الأفعال المضاعفة الثلاثية التي هيئها ولأصنافها من جنس واحد، مثل : مَدَّدَ، وقَرَّرَ، ووَوِّدَ... ولذلك يدغمون فيقولون : مَدَّ وقَرَّ ووَدَّ، يدغم الصامتين في صوت مضاعف بعد حذف المصوت المتصغير (الحركة) بين التالين في : مَدَّ ووَدَّ وبين الزائدين في : قَرَّ.
- وإذاً فالإعلال أو التصغير حقيقة رابطة في صميم اللغة، ولا بد أن ينشأ على أساس من هذه الحقيقة، فقال بقول. وباع يبيع، ومدَّ ومدَّ وقَرَّ بقَرَّ أصل كل منها : قَوَّلَ يَفْعُلُ، وتَبَّعَ يَفْعُلُ، ومدَّ يَفْعُلُ، وقَرَّرَ يَفْعُلُ. ولا بد من تفسير هذا الأصل تفسيراً علمياً قائماً على أساس من الدراسات العربية الحديثة.
- 7 - لا شك أن الشجح الأحصائي ذو قيمة علمية كبيرة في كشف بعض خصائص النظام الصرفي العربي. وقد قام أحد العلماء المتأخرين (محمد بن عمر المشهور بنخرقت : 930 هـ) بوضع كتاب، سماه : «فتح الأفتال وحل الإشكال بشرح لامية الأفعال لابن مالك» وأخصى فيه الأفعال المفردة الواردة في معجمي «الصحاح» و«القاموس» ووَرَّعها على أبواب الفعل. مينا الشاذ منها وغير الشاذ، وما فيه أكثر من لغة. وقد تمَّ نسخ هذا الكتاب، وطبع مرتين.
- 8 - البيت من بحر الكامل (ينظر المصنف لابن جني 1 : 242).
- 9 - البيت من بحر الطويل. وأصل : حَبَّ : حَبَّبَ أو حَبَّبَ، ثم نقل إلى حَبَّبَ، للندح والتعجب.
- 10 - ينظر : نور الدين (عصام) : أبنية الفعل في شافية ابن الخاحب/طبع المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع/بيروت سنة 1982، ص 172.
- 11 - هذا الفعل مأخوذ من الجليَّة، وهي الأصوات الشديدة المختلفة. أما جَلَبَ يَجْلِبُ، بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع فمن الخَلْبِ، وهو إحضار السلعة أو غيرها.
- 12 - مرَّ بنا في ص 19 الفعل : حَسَنَ يَحْسِنُ، من باب «فعل يَفْعُل». ومعناه : داء في البطن، أما حَسَنَ يَحْسِنُ، فمعناه : تيبَّ الإقدام على مالا ينبغي أن يُخَافَ، ومثله : حَسَنَ يَحْسِنُ.
- 13 - يقال : رسم يرسم رسماً ورَسَمًا ورَسَمَانًا : حَسَنَ مَشِيءًا، ورَسَمَ على الأرض أو على الورق : حَفَّطَ، ورَسَمَ الكتاب : كَتَبَهُ، ورَسَمَتِ الناقة ترسيم رسيماً، إذا عدت عشوا فوق الدميل، وهو السير السريع اللين.
- 14 - الفعل : حَبَّبَ جاء ثنائي العين ؛ يقال : حَبَّبَ الشاة وغرَّها يَحْبِلُ حَبْلًا :